(الأصبهاني)

الخير والشر ظبيان توأمان من بطن غزالة برية، لا أحد يدري أيهما كان له السبق، كلاهما يدعي أنه أتى أولًا، ولكني أعلم بيقين تام أنهما جاءا معا وسيرحلان معا، وسيبقى العدم دائمًا ما يلوح لي ذكرى مشوّشة، لصبيٍّ صغيرٍ يعدو بكل ما أوتي من قوة، يسابق الثعالب والعصافير والخيول، يحاول أن يصل إلى الحد الفاصل بين السماء والأرض، أن يبلغ مغرب الشمس يعدو... ويعدو حتى يسقط لاهثًا ويظل الأفق بعيدا يحاول الوقوف على قدميه المرهقتين، يمد يده إلى تلك الجمرة البرتقالية محاولًا التشبث بخيوط النور الباهتة، لكنها تنساب من بين يده تهوي في عين حَمِئةٍ يخيل إليه أنه يرى فارسًا متشحًا بالسواد، يجول بفرسه ويهوي بسيفه على الهامات؛ فتسقط صاغرة فيعلو صهيل فرسه ويختفي مع آخر شعاع ضوء.. أركض بفرسي عبر تلك اللوحة السرمدية أشق الوديان و أقطع الفيافي، وأطارد الوعد والمصير.. صوت الإمام (إبراهيم) يتجسد صورا أمام عيني!

- يا (أبا مسلم).. أنت منا آل البيت، أنت سيفنا المسلط على رقاب (بني أمية)!

وجهي كان جامدًا كالصخر، لا تبدو عليه أثر كلماته، ولكن تلك العينان النافذتان رأت ذلك الجحيم المستعر بداخلي، دائما ما يجيد قراءتي ومعرفة مكنون صدري. أعرف أنني لست (سلمان الفارسي) وليس هو (النبي) ﷺ

ولكن طريقنا واحد.. كلانا يبغي الخلافة والملك ولن يتم له الأمر إلا بي.. و أنا لن أبلغ ما أريد إلا بنسبه ومن خلال دعوته.. هو فرصتي ولن أضيّعها!

– أنت من آل البيت!

أرى تأفف أخاه (أبوجعفر) وحديثه الصامت: كيف لهذا الأعجمي.. هذا العبد... مولى (أبي موسى السراج) أن يكون قائدا لدعوتنا؟!

ولكني لا أبالي لا بسخط (أبي جعفر) ولا تعجب أخيه (العباس).

فأنا من يصنع الأحداث ويرسم الصور، ويحرك البيادق على رقعة الشطرنج.. هذا الأمر أتجهز له منذ زمن بعيد وأعد له العدة حتى إذا جاءت الفرصة اقتنصتها فأنا الاختيار الوحيد.. فأنا حفيد الأكاسرة.. و أين أنتم من الأكاسرة؟... كنتم أعرابا.. حفاة.. جفاة... أجلافا.. ولولا الإسلام ومنته عليكم لكنتم ما تزالون في الصحراء تعيشون في بداوة وجدب، وتقتلون أولادكم من إملاق.. أنا من سيحطّم هذه الأصنام الأموية العربية وسأطأ هذا الصلف والغرور العربي بحافر فرسي.. سأقتلكم وأمزقكم شرَّ ممزَّق ثم أطارد أرواحكم وأحرقها.. أتحسس تلك الرقعة التي تأمر نقباء الدعوة بخراسان بالانصياع لأمري:

– اقتل من شككتَ في أمره ومن كان في أمره شبهة.. ومن وقع في نفسك منه شيء وإن استطعت ألا تدع بخراسان لسانًا عربيًا فافعل.. فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله!

أبتسم ساخرًا وأحدث نفسي قائلا:

- لا تقلق، سيدي فأنا لست في حاجة إلى وصية فلي ثأر قديم وجرح غائر.. فكم من إهانة نالتني من عربي حقيرٍ محقّر ليس له شأن ولا وزن، إلا أنه عربي يفخر بنسبه وقبيلته وعرقه الأصيل!

في طريقي إلى (خراسان) أراه طفلا صغيرا يلهو على تلٍّ قريب، يبتسم لي أتجاهله فيرفع صوته ينادي:

- أيها (الأصبهاني)!

لا ألتف إليه.

يقول بسخرية:

- حفيد الأكاسرة!

أنظر إليه بغضبٍ قائلا:

- اسمي (أبو مسلم).
- هل تغيير كنيتك يغير الحقيقة؟
- أي حقيقة؟!
- إنك لست عربيًّا.
- الوقت كفيل بتغيير كل شيء، سأتزوج من (آل العباس) و أنتسب إليهم.

يضحك قائلا:

- يا لك من حالم.. احذر نفسك (أبا مسلم) فهي العدو الأكبر.
- أنا أعلم بنفسي منك.

- لا تغتر أيها (الأصبهاني) إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا، كثر هم من ضحوا بكل شيء، وباعوا أنفسهم للشيطان وفي النهاية صاروا أجداثًا بالية، هباء منثورا!
- انتظروسترى أثري وفعلي!
- سأنتظر، أنا لا أملك إلا الوقت.

أسمع عواء ذئب.. يختفي محدثي وكأنه لم يكن!

****

قامت الدولة وشاع ذكري.. أنا الآن ملك (خراسان) الكل يهابني ويركع تحت أقدامي التي داست أعناق الرجال، وطحنت جماجمهم.. مات (العباس السفاح) وتولى (أبو جعفر المنصور) وها أنا في قصره أمام عرشه..

يباغتني بسؤال قائلا:

- لماذا قتلت سليمان بن كثير، و إبراهيم بن ميمون، وفلانا وفلانا؟
- لأنهم عصوني وخالفوا أمري.
- خالفوا أمرك؟! وهل لك من الأمر شيء؟، إن غرورك وكبرك صورا لك أنك صانع دولتنا.. ويلك! والله لو قامت أَمَةٌ سوداء بالدعوة لنا، لبايعنا الناس.

توجستُ خيفة من حديثه وأصابني الفزع، عندما رأيت ذاك الطفل ينظرلي من خلف العرش بابتسامة ساخرة قائلا:

- حان الموعد (أبا مسلم)!

المنصور:

- والله لأقتلنك أيها الزنديق!

أبكي مستعطفا:

- استبقني لأعدائك!
- وأي عدولي أعدي منك؟!

وأكمل ساخرا:

- "لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"!

ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى؛ فخرج أربعة فرسان أشهروا السيوف،

وشعرت بطعم الدم في فمي!